الفرد بين فعل الحرب و وعيه" بيولوجيا – نفسيا – اجتماعيا "

The individual between the act of war and its awareness "biologically - psychologically - socially"

تاريخ الاستلام: 2022/12/06 تاريخ القبول: 2023/05/31 تاريخ النشر: 2023/06/18

أمـــال زقـــاي [1*]
جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم (الجزائر)
Email : psychologieclinique@gmail.com

محمد علي بناي [2]
جامعة قاصدي مرباح – ورقلـة (الجزائر)
Email: bennay81@gmail..com

الملخص:

غالبا ما يتم الذهاب لدراسة و تفسير الظواهر النفسية التي تنجم عن الحروب من حيث ضرورة استعجالية التكفل بها في مجال علم النفس لما لها من أثر مرضي وخيم على صحة الفرد و المجتمع ككل . إلا أن هذه الدراسة تمثل دراسة تشخيصية ليس لنتائج الحرب من الناحية السيكوباتولوجية على الفرد بل للعوامل المؤدية لها ، من حيث أن الفرد يمثل محور الصراعات الداخلية التي يعيشها هو بذاته – بين متطلباته "البيولجية" و "النفسية" و " الاجتماعية " – وكذا محور الصراعات الخارجية التي تعيشها بيئته الاجتماعية كوسط حيوي ينتمي إليه و يشارك في بنائه في الوقت نفسه ، تدرس هذه الورقة دور الفرد في "صناعة الحروب" باعتبارها نموذجا صراعيا يعبر عنه " داخليا " و "خارجيا " انطلاقا من الإشكالية العامة التالية : كيف يسهم الفرد باعتباره فاعل بيو– نفسي– اجتماعي في صناعة الحرب ؟ ، و ذلك على ضوء النموذج الحيوي الاجتماعي " النسقي" . أين توصلنا إلى أن العوامل البيولوجية و النفسية الباثولوجية المفعلة للحروب تحمل رمزية حل الصراع الاجتماعي قصد تمكين المنظومة الاجتماعية الحفاظ على تواجدها مقدمين بذلك شرحا مفصلا عن المفهوم الحيوي لماهية الحروب خارج مفهومها العسكري.

الكلمات المفتاحية: *حرب ، فرد – عامل نفسي ، عامل بيولوجي ، عامل اجتماعي.*

Abstract:

An abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article Often go to the study and interpretation of psychological phenomena that result from wars in terms of the urgent need to take care of them in the field of psychology because of their negative impact on the health of the individual and society as a whole. However, this study represents a diagnostic study not of the consequences of the war in terms of psychopathology on the individual, but rather of the factors leading to it, in that the individual represents the focus of the internal conflicts in which he himself lives - between his "biological", "psychological" and "social" requirements - and the same axis The external conflicts that it lives in its social environment as a vital medium to which it belongs and participates in building it at the same time. This paper studies the role of the individual in "war making" as a conflict model that is expressed "internally" and "externally" based on the following general problem: How does the individual contribute as Bio-psycho-social actor in the war industry? And that in the light of the "systemic" social bio-model. was reached The following result: the biological and psychological factors that activate wars bear the symbolism of resolving the social conflict in order to enable the social system to maintain its existence, thus providing a detailed explanation of the vital concept of what wars are outside its military concept.

Keywords: individual , war , psychological factor ,social factor, biological factor.

[*] المؤلف المرسل: أمال زقاي

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 17/ العدد 01 –السنة 2023 ص ص 285–312
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8151

تمهيد

عرفت الحروب نمطية حركية ثابتة عبر تاريخ الشعوب لا تتوقف . فلا نرى لها انقطاعا منذ ميلاد الإنسان إلى غاية الساعة ، وان تغيرت طبيعتها الصراعية فهي تبقى في الأخير تنطلق و تنتهي من و بالفرد، باعتبار هذا الأخير العجلة التي تسير بها هذه الشعوب إلى الأمام لتصنع وجودها الاجتماعي مهما تقاطعت اهتماماتها وتنوعت واختلفت اتجاهاتها في الصراع أو في السلم على حد سواء .

إن التساؤل عن سيكولوجية الحروب كصراع اجتماعي محض مصدره الفرد ببنيته البيولوجية المحددة لتفرده ككائن حي متصراع مع ذاته و مع غيره ضمن نسق جمعي اجتماعي خاص ، يضعنا أمام مفترق طرق تتداخل فيه المفاهيم السيكولوجية مع المفاهيم السوسيولوجية للصراع من حيث تعبيرها عن نموذج تفاعلي مرضي مرتبط بمفهوم الحرب عامة و مرتبط مع ما يمكن للحرب أن تفرزه من واقع خاص له مصدره النفسي البيولوجي " كبنية نفسية– بيولوجية " ، و نتيجة ذلك على "البنية الجمعية الاجتماعية" لكل من الفرد و الجماعة بصفة أخص . حيث إن استخدام مصطلح الحرب بحد ذاته يعكس تصورا سياسيا و عسكريا للوهلة الأولى ، غير إن محاولة تفسير ماهية الحرب انطلاقا من هذا التصور التفاعلي المرضي في إطار نسق "فرد –بيئة اجتماعية"يضعنا أمام كم هائل من المصادر المعرفية التي قد تبعدنا عن الدراسة النفسية المحضة ، لذا ارتأينا دراسة ماهية الحرب في ضوء المعطيات النفسية آخذين النموذج الحيوي النفسي الاجتماعي" النسقي " ملخصا للسببية المتعددة العوامل في تفسيرها للظواهر. أين يحتل هذا النموذج "أهمية كبيرة في الأبحاث و المسائل الإكلينيكية التي تتوضح انطلاقا من الشمولية و كأهم الافتراضات الجوهرية التي ينطلق منها ، حيث يرى أن الصحة و المرض ينجمان عن تفاعل عوامل حيوية و نفسية و اجتماعية. على هذا الأساس فإن العمليات التي تتم على المستوى الاجتماعي الواسع و العمليات التي تتم على المستوى الشخصي الضيق تتفاعل فيما بينها ،....لكن كيف تتفاعل هذه العوامل ؟ ولإيضاح هذا السؤال قام الباحثون بتبني نظرية الأنساق في تفسير الصحة و المرض ، إذ تؤكد هذه النظرية أن جميع مستويات النظام تترابط مع بعضها على

أساس هرمي ، كما أن أي تغيير في أي مستوى يحدث تغيرا في جميع المستويات الأخرى. و التقييم الذي يستند الى النموذج الحيوي النفسي الاجتماعي يأخذ بعين الاعتبار البيئة الاجتماعية" (شيلي تايلور. **2007**.ص**60/56**). ومنه يمكننا التساؤل عن ماهية الحرب وفقا لهذا لنموذج الأخير بتبني الإشكالية التالية : كيف يسهم الفرد باعتباره فاعل بيو- نفسي- اجتماعي في صناعة الحرب ؟ و انطلاقا من هذه الأخيرة يمكن صياغة الفرضية الاجمالية للدراسة التالية :**هناك دور لكل من العوامل "البيولوجية والنفسية والإجتماعية" للفرد في إنتاج الحروب و صناعتها.**

و منه سنقوم بدراسة الفروض الآتية و مناقشتها :

- يعد ثبات المحددات البيولوجية للفرد عاملا رئيسيا في تحديد تطور مظاهر الحروب .
- يعد الفرد فاعلا اجتماعيا في صناعة الحرب و منتجا لها .
- يُعد الفرد فاعلا سيكولوجيا في صناعة الحرب و منتجا لها.

و جاء الهدف من هذا البحث رغبة منا في تقديم إنتاج نظري شمولي عن الحرب من حيث مصدرها و عوامل التأسيس لها و ذلك من خلال إلقاء الضوء على كل من العوامل البيو — نفس - اجتماعية للفرد التي تتفاعل في انتاجها للحرب كواقع للصراع داخل الجماعة الاجتماعية الواحدة أو المتعددة . أين جاء تدرجنا في كشف حيثيات الموضوع على خطوات نقدمها كالآتي : الباب الأول بالاقتراب النظري من الحرب كمفهوم بالتطرق ل " التعريف للحروب كنموذج للصراعات العسكرية " أولا حيث قدمنا التعريف بالحروب لغة ثم شرحنا ماهيتها اصطلاحا ، ثم قدمنا "شرحا لماهية الحرب وفقا للنموذج الحيوي النفسي الاجتماعي على ضوء ما توفر من دراسات سابقة " ثانيا ، الباب الثاني وللإجابة عن إشكالية البحث محل الدراسة تم التقصي النظري انطلاقا من تقديم القراءة السوسيولوجية والسيكولوجية المتخصصة للحرب، و ذلك و فقا للمنهج التحليلي وبمفاهيم المقاربة النسقية الشمولية ، و بغية تحليل و تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها في مناقشة فرضيات البحث ،جاء استغلال مخرجات هذه القراءة المزدوجة " السوسيو- سيكولوجية "

للحرب مفصلا في شرح الحرب كنموذج تفاعلي صراعي داخل المنظومة الاجتماعية المرتبطة أصلا بثبات المحددات البيولوجية الخاصة بالفرد في مقابل لا ثبات المحددات الاجتماعية و السيكولوجية .

موضوع البحث

2. الاقتراب النظري من ماهية الحرب انطلاقا من النموذج الحيوي النفسي الاجتماعي " النسقي":

1.2 التعريف بالحروب كنموذج للصراعات العسكرية:

الحرب لغة **هي** المقاتلة و المنازلة و هي كلمة مؤنثة وبلاد الحرب هي بلاد الإعداد (**زاد الطالب "عربي عربي".ص194**).

أما التعريف الاصطلاحي للحرب فهي تمثل النزاع المسلح التبادلي بين دولتين أو أكثر من الكيانات غير المنسجمة والهدف منها إعادة تنظيم الجغرافية السياسية للحصول على نتائج مرجوة ومنظمة بشكل ذاتي.

أما بالنسبة ل"**علي صبح**" : تسمى الحرب بالحرب الباردة طالما أن أطراف النزاع لم تستعمل السلاح وتتحول إلى ساخنة مع استخدامه ، إذا ما انحسر استعمال السلاح في منطقة معينة اعتبرت الحرب محدودة أو اذا اقتصرت على إقليم واحد اعتبرت إقليمية. فالخلافات ما بين الدول الصغرى و حتى داخل العديد منها كانت قد هدأت في ظل صراع الكبار لكنها ما لبثت أن انفجرت في أماكن مختلفة ومتفرقة من العالم"(**علي صبح.2002. ص61/60**).

2.2 ماهية الحرب انطلاقا من النموذج الحيوي النفسي الاجتماعي:

إرتأينا دراسة ماهية الحرب في ضوء المعطيات النفسية مع إسنادها لمختلف التوجهات الإيديولوجية سواء كانت تاريخية ، أو سياسية أو ثقافية آخذين النموذج الحيوي النفسي الإجتماعي نموذجا ملخصا للسببية المتعددة العوامل في تفسيرها للظواهر.

– ماهية المقاربة النسقية:

***التعريف بالمقاربة النسقية** :"يعود أصل تسمية المقاربة النسقية إلى اللغة اليونانية " **systema** " .والتي تعني الكل المنظم ظهرت في الأربعينات من القرن الماضي نتيجة

لاجتماع علم الأحياء " البيولوجيا" الالكترونيك و التي ساهمت بدورها في ولادة علم السيبرنتيقا التي تعني فن القيادة التوجيه التحم : طريقة دراسة تنظيم الكائنات الحية و اللآلات . تسنح هذه المقاربة للباحثين بمواجهة تعقيد المواقف التي لا يمكن للنهج التحليلي " الديكارتي " القام على فصل العناصر بفهمها ".(**سعدي وحيدة – ولهي حنان ،2018،ص439**)

*** أجيال المقاربة النسقية :**

الجيل الأول " أنظمة الأجهزة و اللآلات" :ولد الجيل الأول ممن التفكير المنهجي في القرن 18 مع اكتشاف " دواليب الدفع التي من المفترض أن تعمل الطبيعة وفقا لها . حددت هذه الاستعارة المستوحاة مباشرة من صناعة الساعات مصطلح " الميكانيكا السماوية" التي أعطيت لعلم الفلك في ذلك الوقت كانت الأضواء مسلطة حول الأنظمة الفيزيو–كيميائية حيث جمعت الطبيعة عناصرها " الكواكب و الجزيئات "في أنظمة معقدة دون روح أو إرادة ما جعل النظام في القوانين الثابت التي تحكم عملها "(**سعدي وحيدة – ولهي حنان ،2018،ص440**)

الجيل الثاني "النظم البيولوجية السيبرنتيقا" :لم يظهر إلا في عشرينيات و ثلاثينيات القرن العشرين " **ludwig von bertalanffy** " مؤسس نظرية الأنساق صاحب كتاب النظرية العامة للأنساق الذي يعدف إلى وصف مجموعة من أنساق الطبيعة بعيدا عن الميكانيكا السماوية معتمها بالنظم البيولوجية . (**سعدي وحيدة – ولهي حنان ،2018،نفس الصفحة السابقة**)

الجيل الثالث " الأنساق الاجتماعية" : حتى السبعينات من القرن الماضي كانت المقارب النسقية تفترض " التواجد الموضوعي " للأنساق انطلاقا من هذا الافتراض نستطيع القول أن الجيل الثالث من التفكير النسقي قد أتاح دراسة نظم الاجتماعية إلا أنه ومن خلال الأبحاث المعمقة وجد النسق داخل وعي " التمثلات الفكرية " للملاحظ فالنسق عبارة عن خريطة ذهنية منسقة " يستخدمها المراقب لمحاولة فهم الواقع .هذا التغيير الطفيف جعل الاهتمام كله ينصب حول البناء العقلي لأدمغة الأفراد . (**سعدي وحيدة – ولهي حنان ،2018،ص441**)

الجيل الرابع " ثلاث أجيال للمقاربة النسقية لأجل إعادة اكتشاف البديهيات (الأفكار البارسونزية) ":" الفكرة المركزية عند النسقية هي نزوعها إلى بناء نموذج من التفكير يتسم بالشمولية القادر على دراسة التفاعلات الدينامية–و ليس السببية و إدراك الأنساق ليس باعتبارها مجموعات ساكنة بل مجموعات متحولة ...و على هذا الأساس اعتبر أن" **Rosnay**" النسقية هي قبل كل شيء منهجية تسمح بتجميع و تنظيم المعارف من أجل إعطاء فعالية أكبر للفعل . (**سعدي وحيدة – ولهي حنان ،2018،ص 442/441**)

الجيل الخامس "المقاربة النسقية ":شجع فهم و قبول التعقيد و الارتياب الذي يميز عالمنا اليوم على انتشار البراديغم أو النموذج النسقي " (**سعدي وحيدة – ولهي حنان ،2018،ص443**)

– الحرب و الأنساق الوظيفية : " لم يعد التفاوت الاجتماعي هو مبدأ تحديد التركيب الاجتماعي بل إن التركيب أخذ منحى التمييز بين المجالات الاجتماعية الجزئية المختلفة أو لنقل بلغة **لومان** تمييز الأنساق الوظيفية كنسق السياسة أو الاقتصاد أو التربية أو القضاء ، نظرية الأنساق نظرية شاملة يمكن تطبيقها على كل الأنساق أكانت اجتماعية أم نفسية و قد ساعد التجريد الشديد الذي اتبعة **لومان** على تحقيق هذه الشمولية للنظرية،و يتم التواصل بحسب تعبير **لومان** داخل كل نسق بناءا على منطق ذاتي مستقل عن منطق الأنساق الأخرى و سمي لومان هذه الأنساق بالأنساق الوظيفية لأن لكل منها يتفرد بوظيفة اجتماعية مهمة ...و كل هذه الأنساق مبنية بشكل مشابه كما يرى لومان فكل نسق منها لا يمكنه القيام إلا بوظيفته و هو مستقل بمعنى انتاجه الذاتي للقواعد التي يعمل على أساسها ".(**نيكلاس لومان .2010. ص 6/5**) وإن تبني فكرة الحرب كنتيجة وظيفية للأنساق السياسية الخاصة بالدول يجعلنا نعي الأهمية الكبيرة التي تحملها على عاتقها المصلحة العامة للأفراد الذي ينتمون للنسق الاجتماعي الواحد و التي تبدأ و تنتهي عند عجز وظيفي في نسق آخر تابع لها كالنسق الاقتصادي و التربوي ، فغالبا ما تكون الحروب سبب عدم تحقيق الكفاية الذاتية في أحد وظائف النسق الواحد لكلا الطرفين القوي أو الضعيف على حد سواء.

–الحرب بين الوعي و الفعل : لبحث "فعل" الحرب من حيث مفهومها بعيدا عن مظاهرها فإننا لا يمكن أن نعزل النسق الفردي عن النسق الاجتماعي إطلاقا لأن "المشكلة هي بالتحديد كيف يمكن للفرد الارتباط بالمجتمع ؟ إذا فكرنا بالفرد نفسيا و بيولوجيا و أخذنا بجدية بكل ما نعرفه حتى اللآن فيتشكل الانطباع لدى طرح السؤال بأن لنظرية الفعل نوعا من وظيفة اللصق بين الفرد و المجتمع فالفعل شيء له أهميته على كلا الطرفين و لا يمكن في الواقع تشريحه إلى جزء فردي و جزء اجتماعي و لا يمكن تقطيعه "(**نيكلاس لومان .2010. ص 314**) " كما لا يمكن صرف النظر عن أن الناس يفعلون بل نريد إبعاد مصطلح (الفعل) عن وظيفة اللصق و الوصل بين الأنساق الفردية النفسية و البيولوجية من جهة و عن أنساق المجتمع من جهة أخرى "(**نيكلاس لومان.2010 . ص 315**). أما الترابط البنيوي للأنساق الاجتماعية و الأنساق الفردية فيظهر في انتاجه للحروب بين فعل الحرب و وعيه من طرف الأفراد حيث " إن الفرضية الحاسمة في حالة الترابط البنيوي للأنساق الاجتماعية و الأنساق الفردية هي أن الأنساق الاجتماعية ليست مرتبطة سوى بالوعي دون أي شيء آ خر " (**نيكلاس لومان .2010. ص 332**).

3.2 تقديم ماهية الحرب وفقا للنموذج الحيوي "البيولوجي – النفسي– الاجتماعي " النسقي على ضوء أهم الدراسات السابقة المتوفرة :

– تفسير تطور أشكال الحروب على ضوء النموذج الحيوي " النسقي " : إن المنحى التطوري لأشكال الحروب من حروب عسكرية و نفسية إلى حروب أهلية و من ثم بيولوجية عبر التاريخ ، يجعلنا نرى بوضوح أن الحرب كظاهرة تنطلق من محددات الفرد ككائن بيو– نفس– اجتماعي ثم تصل إليها . فحيث كانت الحرب تصنع لنفسها طرقا مادية "عسكرية" لتقتل في الفرد الجانب المادي فيه و من طرف جماعات مختلفة ، فقد أصبحت الآن لا يهمها ذلك و حسب ، بالقدر الذي يهمها ما تسببه له من تبعية و أو أذية نفسية أو بيولوجية من طرف جماعة مختلفة عن الجماعة التي ينتمي إليها " حروب نفسية/ بيولوجية " أو من أطراف نفس الجماعة الواحدة التي ينتمي إليها "ظاهرة الحروب

الأهلية" ، إذ يرى **المهدي الفاتح الحسن** أن " تشكل ظاهرة النزاعات الحروب الأهلية في القارة الإفريقية منذ أواخر الثمانينات و حتى الآن ظاهرة خطيرة لها جذورها التاريخية و محدداتها الجغرافية الثقافية و الاقتصادية و السياسية ، حيث تواكبت مع انهيار الحرب الباردة و التوجه نحو آليات السوق الاقتصادية و التحدي الديمقراطي سياسيا والتوجه نحو العولمة . النزاعات و الحروب الأهلية الناجمة عن المواجهات العرقية لا تعتبر ظاهرة جديدة بل تعتبر امتدادا لما شهدته القارة قبل الاستقلال و ما بعده و الذي شهد انفجارا في العديد من دول القارة و انتهى بانفصال بعض الدول و انهيار البعض الآخر " (**المهدي الفاتح الحسن،2014، المستخلص**) ، و يقدم هذا الباحث في بحثه 21 دراسة سابقة عن الحروب (من الصفحة 9 إلى الصفحة 10)كلها تناولت الحروب من حيث النتائج و الآثار لا الأسباب و النشأة ، إذ يقول : " بعد اطلاعنا على معظم الدراسات السابقة لم نجد لدراسة الظاهرة و أثارها و نشأتها و أوجه اختلافاتها ما بين الدول في افريقيا وجودا ؟ فأغلب الدراسات للبعد الاستعماري و تتناول قضية الحدود و الأماكن و لم تمتلك طرق التحليل للنزاعات و الحروب الأهلية و نظرياتها المتعددة و العمل على إسقاطها على الواقع التطبيقي ". (**المهدي الفاتح الحسن،2014، ص 19**) ، و هو ما يجعلنا نؤكد على أهمية تقديم الحرب انطلاقا من النموذج الحيوي النسقي كضرورة ابيبستمولوجية هادفة تستدعي البحث. أين أصبح من الضروري التطرق لدراسة الحرب بنظرة شمولية لا تستثني أيا من الجوانب النفسية و البيولجية و كذا المادية للحرب و لا تتعدى التفاعلات الموجودة بينها في الفرد نفسه أو في الجماعة أو المجتمع الذي ينتمي إليه ، حيث لا يمكن تحليل تطور هذا المحتوى الظواهري لأشكال الحرب بعيدا عن تركيبة الفرد نفسه "بيولوجيا و نفسيا " ، و عن تركيبة مجتمعه بصورة مجزأة بل بصورة شمولية وظيفية بنيوية ، و هو ما دفعني إلى اختيار المقاربة النسقية لأجل ذلك بمسمى النموذج الحيوي النفسي الاجتماعي الذي سبق توضيحه في المقدمة.

– تفسير فعل الحرب و الوعي به من طرف الفرد كأحد مظاهر الأنساق الوظيفية التي تظهر بين الأنساق الفردية و الاجتماعية : إن وعي الأفراد بالحرب هو من يؤدي إلى فعل الحرب ، كأحد مظاهر الأنساق الوظيفية التي تُظهر الترابط بين الأنساق الفردية

و الاجتماعية في الوقت نفسه بهذا الوعي من جهة ، و بالمرور به إلى الفعل من جهة أخرى ، و فيما يلي سنذكر المظاهر المحتملة التي تصنع هذا الترابط أولا و المرور من الوعي إلى الفعل ثانيا في الفرد و المجتمع على حد سواء ، بما يمس مختلف جوانب الفرد النفسية البيولوجية و الاجتماعية على النحو الآتي :

✓ **المحددات البيولوجية في مقابل النفسية و تفسيرها لفعل الحرب و الوعي به من طرف الفرد** : إن التعبير عن وعي الحرب أو عدمه يبقى لصيقا بفعل التعبير عن الحرب ، و ذلك ضمنيا أو ظاهريا عنده من حيث خصائص شخصيته الدفاعية المرتبطة بالعدوان ، و كأحد أهم مظاهر الحرب و محركاتها و كذا مظاهر قدرة الفرد التعبيرية عنها . حيث نجد في **"دراسة لبرجر " 1963** عن الخصائص الدفاعية للشخصية فيما يخص " التعبير/عدم القدرة على التعبير عن العدوان" أمام الضغط الاجتماعي أن " الخصائص الدفاعية للشخصية – باستخدام اختبار الـ **TAT** تفهم الموضوع و مقياس الاستجابة السلوكية لسوء معاملة المجرب على عينة من المسايرين- (**شيلي تايلور.2007. ص 378**) تتم كما يلي : "الذين يستسلمون للضغط الاجتماعي يعبرون عن العدوان الظاهر بدرجة أقل ، و عن العدوان الضمني بدرجات أكبر مما نجده لدى الأشخاص الذين يحتفظون باستقلالهم أمام مثل هذه الضغوط. حيث يستدل على العدوان الظاهري من القصص التي تحتوي إشارات الجدل و الغضب و العراك و الانتقام و الجريمة ، بينما يستدل على العدوان الضمني من القصص التي تشير الى المرض و الوفاة و الحوادث(**شيلي تايلور.2007. ص 198/193**).

✓ **المحددات البيولوجية في مقابل الاجتماعية و تفسيرها لفعل الحرب و الوعي به من طرف الفرد** : لموقف الصراع فيقول **ريتشارد لازاروس** : " الأنظمة الاجتماعية ذاتها نتاج العوامل البيولوجية ". (**ريتشارد،س،لازاروس.دون سنة.ص 209**). كخلاصة لذلك فبالنسبة للدور المحوري الذي تؤديه العوامل البيولوجية في تحديد فعل الحرب و الوعي بها من حيث أن هذه العوامل البيولوجية أصبحت تحرك و تسير مظاهر الحرب في الوقت الحالي ، حيث

أنها أصبحت حروبا بيولوجية لها أثرها البعيد على الجوانب الاقتصادية للدول بعدما كانت عسكرية ساخنة أو باردة ، و ذلك من حيث أن هذا النمط البيولوجي للحروب من شأنه أن يدير معالم الصراع في الحرب بأقل التكلفات . أما عن أهم الدراسات التي تثبت و تقر بدور المحددات البيولوجية في وعي الحرب و فعلها نجدها مثبتة في دراسة لـ**إيريك فروم** " **Eric Fromm**" (**1949**) الذي أكد تأثير البناء الاجتماعي في الشخصية في تفاعله مع المحددات البيولوجية للشخصية مركزا على مفهوم الشخصية القومية أو الثقافية . و كذا مثبتة في دراسة **طالكوت بارسونز**و هو مؤسس " البنيوية– الوظيفية" و " التحليل النسقي في علم الاجتماع "أين يقول :" الشخص ، المجتمع ، الثقافة ، الأنساق الثلاثة التي تُكون نظرية العامل للفعل الإنساني و يعني المفهوم الأول بالتنشئة و الهوية فيما يعني الثاني بالتفاعلات و الأدوار الاجتماعية و أخيرا يعني الثالث ببناء الرمزية و القيم . الحاجات الوظيفية للاندماج الاجتماعي و كذا الظروف الضرورية لسير مجموعة الاعوان المتعددين في وحدة او نظام مندمج بدرجة تؤهله للوجود... و إن الحاجات الوظيفية سواء كان مصدرها بيولوجية اجتماعية ثقافية أو فردية تتم تلبيتها عن طريق " سيرورة الفعل ".أما دراسة **أبرام كارندر** " **Abram Kardiner**"(**1949/1939**) فقد اقترح من خلالها أن هناك عددا من الاختلافات الأساسية بين النظم الاجتماعية المختلفة ، افترض ان هذه الاختلافات تنشأ عن الاختلافات في العوامل المادية في البيئة كالعزلة الجغرافية و أحوال التربة و المياه و كفاية موارد الطعام و الطقس و غيرها".(**ريتشارد،س،لازاروس.دون سنة. ص 209/ 210**). و هو ما يلمح لمظاهر حروب جديدة أصبحت تلوح في أفق المستقبل كحروب الماء و التي لا نرى لها استتارا في وسائل الاعلام، و التي غالبا ما ترصد لنا الصراعات التي تحدث بين الدول بسبب مياه الأنهار و السدود الذي مو سببا في الأساس للجفاف في هذه الدول و قلة نسب هطول الأمطار فيا ، أين أصبحت الحروب تنطلق من محددات و عوامل بيولجية محضة تعبر عنه اضطراب تلبية حاجات الفرد البيولجية الأكثر بدائية " الغذاء/ الأمن الغذائي "، من حيت اعتبار أنه لا حياة دون ماء " الأمن المائي " ، هذا ما يجعلنا نعي الطرح البدائي لمظاهر الحروب في الوقت الراهن" الحرب من أجل تلبية حاجات الفرد

البدائية (الماء / الطعام) أو الأمن الصحي الصحة فمثلا نجد "مرض كورونا " و ما نشر حوله من أقاويل اعلامية على أنه مفتعل ليتم التحكم في اقتصاد الدول و تغيير الخرائط الجيو سياسية ، و ذلك بعدما كانت لفترة طويلة من الزمن تطورية المنحى لدرجة بلغت الحروب النووية في حقب تاريخية أصبحت تُرى الآن على أنها قديمة " الحرب من أجل تلبية حاجات الفرد الريادية (امتلاك السلاح النووي و أجهزة العلم و التطور) ".

مما سبق و بناءا على الاعتبارات النظرية السابقة يمكن استقراء النتيجة الأولى المتمثلة في تفسير ماهية الحرب انطلاقا من النموذج الحيوي النفسي الاجتماعي " النسقي"(إجابة عن الفرضية الأولى) التالية : "لا يمكن شرح ماهية الحرب وفقا للنموذج الحيوي " النفسي– الاجتماعي " (النسقي) بإهمال دور المحددات البيولوجية – في تفسيرها لفعل الحرب و الوعي به من طرف الفرد – فقط بسبب ثباتها ، بل أن هذا الثبات أصبح له دور كبير في تحديد تطور مظاهر الحروب في الوقت الراهن من استعمارية إلى أهلية من نووية إلى بيولوجية ".

3. سوسيولوجية الحرب :

1.3. القراءة التاريخية لسوسيولوجية الحرب:

– التطور التاريخي للصراع داخل الجماعة:

يقودنا الحديث عن الحرب من الناحية السوسيولجية إلى البحث عن الصراعات داخل الجماعات منذ القدم حيث يقول **ألكسيس دوتوكفيل** : أننا "عندما نتصفح تاريخنا فإننا لا نصادف أحداثا كبرى منذ سبع مائة عام إلا و انتهت لصالح المساواة ، فالحروب الصليبية و حروب الانجليزية بددت النبلاء و قسمت أراضيهم ، كما أدخل تأسيس البلديات الحرية الديموقراطية داخل الملكية الإقطاعية ،في كل مكان حوادث حياة الشعوب تتحول إلى الديموقراطية كل الناس ساعدوها بمجهوداتهم ، الذين كانوا يتبنون المساهمة في نجاحها و أولئك الذين لم يفكروا في خدمتها ، الذين حاربوا من أجلها و الذين نصبوا أنفسهم أعداء لها" (**عبد الحميد قرفي.2010. ص 51/49**) ، و منه يمكن الوقوف هنا على

التلميح الإيجابي الذي قد تفرزه الصراعات بين الجماعات الصغرى لصالح جماعات أخرى و التي تصب و تنتهي بدورها لصالح المنافع العامة للجامعات الكبرى التي تحتويها ، و كأن الصراع في عبوره خلال السيرورة التاريخية يميل إلى الحد من المفارقات – وفقا للمادية التاريخية– في حدود الأخذ و العطاء من جهة ، وقد يبدأ عند حضور أو غياب جشع مرغوب أو غير مرغوب من جهة أخرى ، و منه يميل إلى حل الصراع الاجتماعي بالعسكري و إلى إنعتاق الصراع العسكري بالرضى الاجتماعي في حلقة مفرغة تعطي للصراع داخل الجماعات معنا إيجابيا ، و ذلك من الناحية التطورية التصاعدية للصراعات عبر التاريخ انطلاقا من الحروب بالمفهوم الاجتماعي .

– المادية التاريخية للصراع داخل الجماعة : للتفصيل أكثر في شرح المادية التاريخية ودورها في إنتاج هذا المفهوم الإيجابي للحروب باعتبارها صراعات من الناحية الاجتماعية يقول **كارل ماركس و فريدريك إنجلس** :" ليس التاريخ إلا تتابع أجيال مختلفة ، يشتمل كل واحد منها الموارد و رؤوس الأموال و القوى الإنتاجية التي تتركها له الأجيال السابقةو إن أساس تطور هذه النظرة للتاريخ يكمن في السيرورة الحقيقية للإنتاج المادي للحياة الفوريةو تصوغ نوع العلاقات الإنسانية المرتبطة بنمط الإنتاج و الناتج عنه و أعني بذلك المجتمع المدني في مختلف مراحله على أنه أساس التاريخ "(**عبد الحميد قرفي.2010. ص 51/49**)، ومنه نجد هذه الإشارة إلى الموروث المتناقل بين الأجيال و ما يمكن أن يمثله من بؤرة باعثة للصراعات المتجاذبة بين الأطراف المنتازعة أو المتآلفة على حد سواء ، و التي قد تضحي بالفرد لصالح الجماعة كون أن السيرورة الحقيقية للإنتاج المادي أثناء الحروب تضع الإنتاج المادي للحياة الفورية في المقام الأول على حساب الانتاج الاجتماعي للحياة المستقبلية للأفراد .

2.3. الحرب من المفهوم العسكري إلى المفهوم الاجتماعي:

– مفهوم الكيان الجماعي " الجماعة" في الحرب و السلم : "هي وسيلة وظيفية للأفراد يستعملون نفوذها و طاقتها لتحقيق أغراضهم ، الجماعة البشرية واقع ينتمي إليه الفرد و يصبح جزءا منه يتأثر بتقلباته و يملى عليه مشاعر الارتياح و الإحباط حيث المرجع

الجماعي يكون في غالب الأحيان المساحة الحيوية ، أين يتطور الفرد و يألف أطوار وجوده ويحقق انسجاما مع الغير و مع القيم التي تحكم الأوضاع المختلفة"(**موراد مرداسي.2009.ص78**). فلا يمكن للفرد أن يؤسس لنفسه بعيدا عن جماعته من حيث أنه ملزم بإتباع قوانين الانتماء إليها و منه فهو إذ يحميها لتحميه و إذ تستعمله ليستعملها , ومنه يمكن أن نقول أن الفرد ليس فقط مؤسس الجماعة بل مالكها من الناحية الوظيفية مالك مواطن نزاعاتها الداخلية و الخارجية فهو من يصنع قوانين و ظروف و عوائق و ضوابط حدود الانتماء إليها في الحرب و السلم ، فيصنع الجماعة و يؤسس لها بغريزته الإيروسية و يبحث ليوسع نفوذها و يحميها بغريزته العدائية .

– معالم الصراع و التطابق داخل الجماعة أثناء الحروب: تشتمل حالات الحرب والسلم على حد سواء على معالم ظاهرة للصراع بين الجماعات المختلفة أو معالم ظاهرة للتطابق داخل الجماعة الواحدة ، ففي في حالْتي الحرب و السلم يمكن أن نلاحظ الأهمية الكبرى التي تكتسيها هذه المظاهر في كونها تنتج بناء و استمرارية الجماعة إذ نجد:

* **معالم التكافل / التطابق/التوافق** :" من إثبات لمعامل الانتباه و التسامك و توسع شبكات الاتصال و توزيع مصادر الوجدانية و الجاذبية المتبادلة ، تحسن المعنويات ، تأهيل كفاءة و حرية الأفواج الداخلية "(**موراد مرداسي.2009.ص82**)"، و مالها من دور وظيفي في توحيد الصفوف داخل الجماعة الواحدة ومن شحذ للهمم أمام الجماعات المختلفة المتصارعة في حالْتي الحرب و السلم .

* **معالم الصراع**: " فالصراع قانون من قوانين الحياة الأساسية ، و الكائنات الحية تتصارع من أجل البقاء. و يعبر الصراع عن وجود دافعين من الصعب إشباعهما في وقت واحد ، فالشخص الذي يعيش معنى الصراع هو في حالة لا يستطيع فيها إرضاء دافعين معا أو فريقين من الدوافع . و إن أول خطوة لتحليل الصراع تقودنا إلى اعتباره واحدا من أهم مصادر الإحباط ، إن العديد من حالات الصراع إنما تنشأ نتيجة للعراقيل التي يصنعها المجتمع في وجه الدوافع الإنسانية ، إن الشخص في تفاعله معه لا يقف عند حدود معينة ،

فهو في حالة تفاعل مستمر مع البيئة و تفاعله يكون قائما ما بين مواضيع تجذبه لها وأخرى ينفر منها(**مروان أبو حويج . 2006 . ص220/219**). وهو ما يجعلنا نفهم الدور الوظيفي للعوامل الاجتماعية في صنع الحرب من حيث تقديمنا هذا التحليل المفاهيمي لمعالم الصراع , و حسب ليفين " **Lewin** " هناك مظهرين للصراع "صراع الإقدام" و يظهر عند تنازع دافعين يدعونا كل منهما للحصول على شيء و لا يستطيع الحصول على الشيئين معا في أن واحد . "صراع الإحجام" و هنا يقع الشخص في حالة نزاع بين دافعين كل منهما يدعوه الى تجنب حالة ما و لا يستطيع تجنب الحالتين معا. ففي كل الحالات تكون أمام رغبتين إيجابيتين أو أمام رغبتين سلبيتين أو أمام رغبة و إحجام أو العكس وهنا تظهر أنواع متعددة للصراع حسب الرغبة و الإحجام و نمط التجاذب(**موراد مرداسي.2009.ص92**). و إن هذا التجاذب بين قطْبي مظاهر الصراع يجعل للجانب الاجتماعي من الأهمية الكبرى كعوامل باعثة و معززة في صنع الصراع المنتج للحروب الشارح لاستمراريتها الأزلية بين الشعوب .

– الحرب كنموذج لمعالم الصراع داخل الجماعة : تعرف الجماعة بأنها مركب بشري معقد تصنعه وظائف بأخص الطموحات الإجتماعية، التربوية، السياسية، الاقتصادية. و الجماعة الاجتماعية محل تناقض الأغراض و الحاجيات و الطموحات غالبا ما تظهر سلطوية. الحرب هنا تعتبر صراعات داخل الأفواج البشرية محلها اكتساب أو احتكار الأدوار القيادية (**عبد الحميد قرفي.2010. ص 41/40**).كما و تعتبر الحرب النفسية استخدام مخطط من جانب دولة او مجموعة من الدول في أوقات الحرب أو أوقات السلام لإجراءات إعلامية بقصد تأثير في آراء و اتجاهات وعواطف و مواقف و سلوك الجماعات المحاربة الأجنبية بطريقة تساعد على تحقيق الأهداف و سياسة الدولة أو دول مستخدمة. و نجد في هذا المنحى المفاهيمي من الضروري بحث كل من الحرب و الوظيفة الاجتماعية،و كذا الحرب بين النظرة التطورية و الوظيفة الاجتماعية كالتالي :

***الحرب و الوظيفة الإجتماعية** : يعطي "**إميل دوركايم**" الأولوية في تحليله للمجتمع شمولية دون العوامل المكونة له، و يفضل النشاط العام للنظام ، فهو بذلك يموقع نفسه في

خط العضوائية التطورية **L'organisme évolutionniste** كما أنه يرفض النظرة الخطية و المنسجمة للتطور. يركز فكر "**إميل دور كايم**" على نظرية الرابط الاجتماعي الذي يميز المجتمعات ذات التضامن اللآلي – الذي يذوب فيه الأفراد في مجموعات بها وعي جماعي قوي و قمعي- عن مجتمعات أخرى يسيرها التضامن العضوي الذي يحس فيه الفرد بأنه طرف في المجموعة مع الوعي بفرديته. إن توازن الأفراد و النشاط الحسن للمجتمع مرهونان بمدى الاندماج الاجتماعي(**عبد الحميد قرفي.2010. ص 41/40**).و من هنا تصبح الحرب بدورها نموذجا للوظيفة الاجتماعية التي يقوم بها الفرد داخل الجماعة ليثبت اندماجه الإجتماعي الفعلي لها .

***الحرب بين النظرة التطورية و الوظيفة الاجتماعية** : يقول " **هربرت سبنسر** " : " إن المجتمع في شكله البدائي و الأسفل هو كما تبينه لنا القبائل المتوحشة تجمع منسجم لأفراد لهم قدرات و وظائف متشابهة ، و الفرق الوحيد البارز في الوظيفة هو فرق الجنس ، إلا أننا سرعان ما نجد أنفسنا في التطور الاجتماعي و هو بداية للتفرقة بين الحكام و المحكومين" (**عبد الحميد قرفي.2010. ص 25**). إن التطور هو تغير ينطلق من شكل أقل انسجاما ليذهب الى شكل أكثر انسجاما على إثر تبديد الحركة و اندماج المادة ، و هي المسيرة الكونية التي تتبعها الكائنات الحساسة بمفردها أو بمجموعها خلال فتراتها الصاعدة في التاريخ ، هذه هي سمات التغيرات الأخيرة التي حصلت للمجتمع و إنتاجات الحياة الاجتماعية ، في كل مكان التوحيد يسير نحو اتجاهات مختلفة في آن واحد"(**عبد الحميد قرفي.2010. ص 27**).

مما سبق يمكن اعتبار الحرب نموذجا للتطور الاجتماعي لتذهب من تبديد الاندماج والحركة – أي الوحدة الاجتماعية في الصراع كشكل أقل انسجاما – إلى التوحيد يسير إلى اتجاهات مختلفة في آن واحد كمحور التاريخ كشكل أكثر انسجاما معبرا عن السيرورة الاجتماعية مهما تغيرت الوقائع." يقارن "**سبنسر**" نموذجين كبيرين لتشكيلات اجتماعية " المجتمعات العسكرية " و"المجتمعات الصناعية " ، الأولى قليلة التحالف لذلك فهي تحتاج الى انتاج استقرارها عن طريق سلم هرمي تطغى عليه دولة مركزية . أما الثانية فهي بالعكس

فردانية معقدة إنما متسمة بتعدد الاعتقادات و المؤسسات ،هذه التشكيلات اللامركزية متواجدة في نفس الوقت في المجتمعات العصرية"(عبد الحميد قرفي.**2010**. ص **29**).

و انطلاقا من الاعتبارات النظرية السابقة يمكن استنتاج النتيجة الثانية للدراسة (إجابة عن الفرضية الثانية) المتمثلة في القراءة المتخصصة لسوسيو باتولوجية فعل الحرب و الوعي به من طرف الفرد **التالية** : " يعد الفرد فاعلا اجتماعيا في صناعة الحرب و منتجا لها " حسب ما يلي :

– الإنتاج المادي على حساب الانتاج الاجتماعي للفرد هو من يصنع فعل الحرب و الوعي به يُعد الفرد هو باعث و ناقل الصراعات كنموذج اجتماعي للحروب و شريكا فيها إذ يعتبر الموروث المتناقل بين الأجيال بؤرة باعثة للصراعات المتجاذبة بين الأطراف ، كما و تضحي الجماعات بدورها بالفرد لصالح الجماعة كون أن السيرورة الحقيقية للإنتاج المادي أثناء الحروب تضع هذا الأخير في المقام الأول للحياة الفورية على حساب الانتاج الاجتماعي للحياة المستقبلية للأفراد ، فلا يمكن للفرد أن يؤسس لنفسه بعيدا عن جماعته من حيث أنه ملزم بإتباع قوانين الانتماء إليها و منه فهو إذ يحميها لتحميه و إذ تستعمله ليستعملها .

– الفرد مؤسس الجماعة و مالكها في الحرب و السلم من الناحية الوظيفية : الفرد ليس فقط مؤسس الجماعة بل مالك مواطن نزاعاتها الداخلية و الخارجية فهو من يصنع قوانين و ظروف و عوائق و ضوابط حدود الانتماء إليها في " السلم تارة " فيصنع الجماعة و يؤسس لها بغريزته الإيروسية ، و في" الحرب تارة أخرى "يبحث ليوُسع نفوذها و يحميها بغريزته العدائية .

– مظاهر صراع الفرد المتجاذبة تعطي الحروب وظيفة التطور الاجتماعي : مظاهر الصراع المتجاذب للفرد داخل الجماعات الواحدة و أو المختلفة / الكبرى و أو الصغرى في الحروب تشرح على المدى البعيد استمراريتها الأزلية لتجعلها نموذجا للتطور الاجتماعي كونها تذهب من تبديد الاندماج و الحركة إلى توحيد يسير إلى اتجاهات مختلفة في آن واحد

هنا تصبح الحرب بدورها نموذجا للوظيفة الاجتماعية التي يقوم بها الفرد داخل الجماعة ليثبت اندماجه الاجتماعي الفعلي إليها.

4. سيكولوجية الحرب :

1.4. سيكولوجية الحرب بالنسبة للفرد :

– الحضارة و واقع الحرب:"الحضارة بموقفها التقليدي من الموت تدعي أنها قد نقلت الانسان من حال البداوة الى حال الحضارة و غيرت نظرته للموت ولكن الحرب فضحت زيف هذا العداء ، و كشفت عن الانسان البدائي داخل كل منا ودفعتنا دفعا للتصرف و كأننا أبطال لا نعترف بالموت و جعلتنا نعامل كل غريب عنا وكأنه عدو ينبغي أن نقتله أو نتمنى قتله و تطالبنا أن نتجاوز حادثة موت أحبائنا. و لا يمكن أن تنتهي الحروب طالما أن شعوب العالم تعيش في ظروف متباينة أشد التباين و تنفر من بعضها أشد النفور ، و من ثم ستظل الحروب تشتعل أبدا ، فإذا كان الأمر كذلك ألا يحق لنا أن نقول إننا إذن ينبغي أن نرضى بواقع الحروب و أن نكيف أنفسنا له ، و أن نعترف بأننا بموقفنا المتحضر من الموت نعيش سيكولوجيا بإمكانيات تتجاوز حدود طاقتنا ، و أننا لذلك يتبقى أن نراجع أنفسنا و نقر بالواقع ، ثم إنه من الأفضل أن ننظر إلى الموت النظرة الواقعية التي ينبغي أن ننظر إليه بها. و كانت لنا عنه الأفكار التي ينبغي أن تكون لنا عنه و أن نروض أنفسنا أكثر على موقف اللاشعور من الموت"(**سجموند فرويد.1992 . ص 39**).

يقول **ألبرت أنشتاين** أن :" الحروب ترتكز على رغبة غريزية قوية و متجذرة في نفوس البشر تلك هي غريزة الكراهية و التدمير و العدوانية و هذه الغريزة كامنة و يمكن استثارتها بقوة في أية لحظة و بخاصة في أوقات الاضطرابات و التجييش الجماعيين" (**سيجموند فرويد – ألبرت أنشتاين.2018.ص8**). كما و قال **فرويد** في رده عن سؤال **انشتاين** لماذا الحرب؟ أن :" الحرب لم تكن سوى ضربا من ضروب التصريف العنيف للنوازع العدوانية القاتلة عند البشر "(**سيجموند فرويد –ألبرت أنشتاين. 2018.ص10**) .

إن" الإشارة إلى **ثوسيديدس** مهمة ففي القرن الخامس قبل الميلاد لأن الكثير يعتبرونه أقدم مؤرخ حروب واقعي سياسي لكونه تنبه في وقت مبكر، إلى دور القوة و الخوف من تنامي قوة الخصم في اندلاع الحروب الذي يجعل القوي يفعل ما يشاء و الضعيف يقاسي بقدر ما يفرض عليه من معاناة ، عبارة ظل صداها مع **كارل فون كلاوزفيتر**، الذي يختلف عن **س .فرويد** عندما كتب أن الدوافع التي تدفع الناس إلى الحرب تكمن في مشاعر العدائية و النوايا العدوانية و على الرغم من قناعة **كلاوزفيتر** تختلف بين الشعوب المتحضرة عن تلك التي تندلع بين الشعوب الهمجية إلا انه يقر بأن هذه المشاعر و النوايا العدوانية ثابتة بين الجميع " (**سيجموند فرويد –ألبرت أنشتاين.2018.ص13/12**) .

أما " **نيقولا ميكافيلي** علم أوروبا فن الحرب ، و الذي يؤسس توجهه في كتاب الأمير على أمريْن جوهريْين : فساد الطبيعة البشرية و متطلبات السلطة و الحفاظ على الملك، فإن على الأمير أن يعلم أنه يحكم بشرا لا ملائكة و أن هؤلاء البشر أشرار بطبيعتهم ،و الحاصل أن أناس بهذه الطباع يمكن أن يحكما بالاستغلال الذكي لهذه الطباع أي بالخوف و الرهبة...و ينصح الأمير بأن لا يخشى عار المعايب التي يصعب عليه بدونها الاحتفاظ بالملك " (**سيجموند فرويد –ألبرت أنشتاين.2018.ص14**) . كما و " كتب **توماس هوبز**: البشر صنعوا رجلا اصطناعيا وهو ما نسميه بالدولة لكن المفارقة، إن الوسيلة التي اخترعها البشر لوضع حد لدورة الحرب الشاملة و حرب الجميع ضد الجميع أي الدولة أصبحت أهم أسباب الحروب فالحروب الأهلية تندلع على الدولة كما أن الحروب الإقليمية و العالمية تندلع بين الدول التي تحول البشر من أناس عاديين إلى أعداء يقتل بعضهم بعضا من أجل هذه الدولة أو تلك " (**سيجموند فرويد –ألبرت أنشتاين.2018.ص15**) .

" أما الحرب بالنسبة **لابن خلدون** كما العدوان و الظلم مسألة طبيعة. و يختلف عن **توماس هوبز** في تفسيره لأصل الحاجة إلى الدولة و الملك فالبشر أقرب إلى الشر و الظلم و عدوان بعضهم على بعض و من هنا جاءت الحاجة إلى الدولة لكبح هذا العدوان بالقهر و السلطان كما إن إقامة الملك و السلطان لا تتم إلا بالقتال لما لطبائع البشر من الاستعصاء و ينسحب هذا التفسير على تأصيل الحرب لأن الحرب ملازمة للبشر كما لو

كانت طبعا مركبا فيهم أنها لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله . أما عن أسباب هذه النزعة المتأصلة في الحروب و أصل الانتقام بعض البشر من بعض فإن ابن خلدون يرجعها لأربعة أسباب فهي" إما غيرة و منافسة و إما عدوان وإما غضب لله و لدينه و إما غضب للملك و سعي لتمهيده و يخلص ابن خلدون إلى تصنيف الحروب إلى صنفين بناءا على دوافعها و غاياتها : حروب بغي فتنةو حروب جهاد و عدل " (**سيجموند فرويد –ألبرت أنشتاين.2018.ص17/16**) .

" أما بالنسبة ل"**أرسطو**" فهو على قناعة بأن الحرب لا يمكن تكون غاية بذاتها بل السلام هو غاية الحرب ...و ربما كان أرسطو يختلف عن اللآخرين في تفسير سبب الحرب و إرجاعها إلى الغريزة الشريرة و شهوة الانسان الخبيثة إلا أنه يختلف عنهم في تعويله الكبير على الفضائل و دورها في القضاء على فساد الانسان " (**سيجموند فرويد –ألبرت أنشتاين.2018.ص18**) .

– الفرد و الحرب كنموذج لتعقيد الجماعة الاجتماعية :

* **تحديد مفهوم الجماعة" المنظومة" الاجتماعية / الكيان الجماعي بالنسبة للفرد:**"تعتبر الجماعة الاجتماعية هيكل حيوي معقد و تنظيم منسق لعلاقة الأفراد و تأثيرهم ببعضهم البعض تحده مشاعر مختلفة : التماسك و التكامل ، الاشتراك في اختيار و إنجاز الأهداف و اقتسام الهوية الاجتماعية، توحيد قنوات الاتصال و الوجدان ، التواجد من لاشعور جماعي و تعزيز ألفة الإدراك المتبادل" (**موراد مرداسي.2009.ص90**). "و يتوقف الكيان الجماعي على دوافع الارتباط و معامل الانتماء للأفراد و كذا إنجاز شبكات إتصال و عمليات التفاعل و التماسك. التوجيه العام للحياة الجماعية يخص بناء هياكل علنية و ضمنية تعتمد على هوية ذاتية ، مجال إدراكي موحد ، قيم مشتركة و تنشيط وجداني. و عليه فنظام الجماعة يعتبر الأرضية التي عليها يرتكز الفرد " (**موراد مرداسي.2009.ص87**).

***توجيه الفرد السيرورة الاجتماعية للجماعة نحو الصراع " التعقيد "**:سيتم فيما يلي تقديم تعريف السيرورة الاجتماعية و من ثم دور الفرد في تعقيدها و توجيهها نحو الصراع على التحو الآتي :

- **السيرورة النفس اجتماعية للفرد** : العضوية و التفاعل الوجداني داخل الجماعة "يحددان بعد الهوية الاجتماعية للأفراد و كذا طموحاتهم ، طاقاتهم الإبداعية ، طرق مقاومة الحرمان و انجاز الأمن" . أين نرى التأثير المباشر للفرد من الناحية السيكولوجية في تحديد محتويات و مواضيع الجماعة الاجتماعية حيث هذه الأخيرة " تستدعي عمليات نفسية و اجتماعية معقدة مثل الانتماء و التقمص الوجداني و أعباء الأدوار و اتخاذ القرار" يقوم بها الفرد. و إن الحركات الجمعية و إتجاهاتها من منطلق تشكيل اللاشعور الجمعي عند الفرد الواحد لا تتوظف إلا في نسق سيرورة نفسية –إجتماعية أي داخل جماعة الأفراد إذ " تعتبر الحركات الجمعية تنظيمات اجتماعية خاصة ، و نماذج عمومية تعكس مستويات التماسك الاجتماعي السلوكي و النضالي للأفراد" (**موراد مرداسي.2009. ص92/79**). " اكتشف **فرويد** أن للعدوانية وظيفة من نوع آخر فهي وسيلة لتعزيز تلاحم داخل الجماعة، و افترض أن للعدوانية طاقة في نفوسنا ،و أن هذه الطاقة لابد من تفريغها خارج الذات و خارج الجماعة من أجل حفظ الذات و حفظ الجماعة "(**سيجموند فرويد –ألبرت أنشتاين.2018.ص10**).كما و يمكن أن نصف التلاحم الذي يحدث بين الأفراد تعليلا لروح التكتل الأفراد لتكوين الجماعات فحتى في أقصى نتائج الحرب نفسها تحدث ففي الأسر مثلا نراها حاضرة حيث إن " العلاقات الاجتماعية في المعتقلات تنشأ من حدود عامة و بالتالي فإنها تتشابه في جميع الأمكنة و هذه الحدود إما أن تكون ظروفا مادية مشتركة بين اجتماعات الأسرى كلها أو أما أن تكون ميولا طبيعية للانسان، روح التكتل هي عبارة عن شعور اجتماعي حقيقي يفرض نفسه على الأفراد " (**جان كازونوف .1983.ص 59/58**).

- **–تعقيد " الفرد " البنية الداخلية للمنظومة الاجتماعية** :من المسؤول عن تعقيد البنية الداخلية للمنظومة الإجتماعية ؟ سؤال كان لابد من الإجابة عنه للفصل في دور الجانب النفسي للفرد في بناء الصراع بين المجموعات المختلفة " الحروب الخارجية/

استعمارية " أو في تحديد إتجاهات الحركات الجمعية داخل المجموعة الواحدة " الحروب الأهلية " نحو الصراع . أين "تحدث الصراعات بناءا على البدائل المختلفة للتصرفات ، و تنشأ من جهة مدخل المنظومة حول مسألة ما هو مهم و ما هو غير مهم ، بالمقابل تنتج الصراعات من جهة مخرج المنظومة حول مسألة" أخرى . و "تنشأ على أساس الفرق بين تعقد المحيط و تعقد المنظومة ، إذ أنه من أجل الحفاظ على تعقد المحيط ينبغي تخفيض الامكانات الفائضة للمحيط "(Klaus Muecke. **2009** . **ص 184**). و للبحث عن من المسؤول عن إحداث الفرق " التعقيد " بين المحيط و المنظومة لابد من التعرف على مفهوم كل من التعقيد بصفة عامة و تعقد المحيط و المنطومة على حد سواء بصفة خاصة ،فبحسب " **Luhman** " فإن التعقيد يحصل عند تزايد عدد العناصر التي يفترض لها أن تتجمع في منظومة ، أو التي تعتبر بالنسبة لمنظومة ما بيئتها ، فسرعان ما يصطدم بالعتبة التي لا يصبح عندها ممكن ربط كل عنصر بالعنصر الاخر" (Klaus Muecke. **2009** . **ص 185/184**).و هنا تصبح زيادة الأفراد و اضطراب احتوائهم من طرف المنظومة و أو البيئة الاجتماعية التي يشعرون نفسيا أنهم ينتمون إليها هو ما يُحدث الصراع داخل المنظومة الواحدة فما الذي يحدثه بين مجموعات مختلفة ؟ ومنه نبحث لنجد أن تعقيد المنظومة الاجتماعية يمثل " اعتبار المحيط مفرط التعقيد اذ يفترض أنه إذا ما أرادت منظومة ما أن تحافظ على نفسها فلابد لها أن تقود تعقدها الى أين (Klaus Muecke. **2009** . **ص 185**).و تعقد المحيط بحسب " **Willke** " بالمقابل يحدث من تنوع أحداثه الممكنة التي تقوم على امكانات التصرف المحتملة لفاعلين أفراد أو جماعات تبدو من وجهة المنظومة محورية بوصفها تعقيدا لمحيطها ". و منه ان احتواء المجموعة للفرد كمنظومة لا يحصل إلا بتحديد مدى فاعلية بعض الأفراد بالنسبة لمحيطهم و يدركونه كأمور محورية تكون مسؤولة عن تعقيد المنظومة الاجتماعية أمام بنية الواقع المنظومي/ الجماعي على أنه يستوجب الصراع ف" إذا ما تم تجاوز الحد بين الاحتمال السوي أو المجنون ، يقوم الواقع السياقي (الجماعي) أو تفسيرات الواقع – الفردية (البنى الفردية للواقع) بتقريره ...و هذا الاحتمال

ينشأ هنا من خلال أنه يمكن للمنظومة أن تأخذ حالات أخرى و تتحول الى احتمال مضاعف" الحرب / الصراع " بمجرد أن تقوم المنظومات بتغيير انتقائها الخاص على حساب منظومات أخرى " (**Klaus Muecke. 2009 ، ص 185/184**). و منه يمكن أن نستنتج أن تفعيل تعقيد الفرد بالحركية الجمعية نحو الصراع " داخل الجماعة الواحدة أو الجماعات المختلفة" يقوده إدراك حدود الانتماء من طرف الفرد ذاته لذاته و لمنظومته الاجتماعي التي يدركها كذلك أين لا يمكن أن يحدث هذا الإدراك إلا في وسط الجماعة و أي نقص أو إفراط يكون مسئول على تفعيل هذا التعقيد في مختلف إتجاهاته إما بالتوسع" الحروب الاستعمارية" أو بالتشتت "الحروب الداخلية" و أو"بكليْهما" .

2.4. سيكولوجية الحرب كنموذج للتعقيد داخل النسق الجمعي"مُسْتَعِر–مُسْتَعَمَر– موقف استعماري ":"تفسر النزعة العنصرية بتلك الفكرة عن التناسب الغريب الموجودة بين "وحدة المكان " أو " الجانب الموضوعي" و "وحدة الانسان" أو الجانب الذاتي، أي الشئ الأساسي في نفسية الاستعمار، على أنها أثر لفاصل نفسي يجزئ الذات أو وحدة الـ "أنا" عندما يسقط هذا الفاصل الذاتي على سطح الجانب الموضوعي " وحدة النوع البشري". فيجزئه إلى جزئيْن، أحدهما له السلطة و السيادة و الآخر عليه السمع و الطاعة، كما يعتقد من يدين بالعنصرية. و فكرة هذا الفاصل الذاتي شئ جديد بكل اهتمام في دراسته الواقع الاستعماري كظاهرة،العوامل الاقتصادية و السياسية و الاستراتيجية التي تتصل بالنزعة الاستعمارية اتصالا تكوينيا. هذه العوامل كما تؤدي مفعولها كأسباب في عقول مهيأة نفسيا. الموقف الاستعماري ينشأ كل مرة ينعكس فيها الـ "أنا" مثلا الأوروبي خارج إطار أوروبا . أي الـ " أنا " الذاتي خارج الموضوعي. شذوذ الاتصال الذاتي ينشئ الموقف الاستعماري صادر عن الفرق بين حرب استعمارية و مجرد حرب، و ان دراسة هذه الظاهرة منذ مقدمتها الأولى ستتخذ اتجاهين أحدهما خاص بدراسة المستعمر و الأخر خاص بدراسة المستعَمر و إن المعطيات النفسية الخاصة بهذين الاتجاهين هي التي تصوغ بالتالي التركيب الذي يطلق عليه "المواقف الاستعمارية" (**مالك بن نبي. 2006 . ص 20/17**) .

"و يمكن أن نُضيف إلى المقياس الاجتماعي عنصرا نفسيا يزيد في توضيح الفرق الذي نشير إليه – بين هذين الاتجاهيْن – فالمجتمع الذي يعاني شذوذ الاتصال هذا ينشئ مع الاستعمار صلة نفسية اجتماعية ، بينما المجتمع الذي له صلة اجتماعية نفسية فله الأولوية في الحالة الأولى للعنصر النفساني ، بينما الأولوية للعنصر الاجتماعي في الحالة الثانية. المجتمع الاستعماري لا يترك للكائن المستعمر إلا تبعيته و من ناحية أخرى فان ابن المستعمرات نفسه لا يبدو مهتما بانجاز تطوري بصورة فعالة ، حيث يراه في الحقل السياسي لا تتجه مطالبه إلى تصفية التبعية"(**مالك بن نبي.ص 30/20**) . كما يمكن للنزعة العدوانية في نفسية المستعمِر أن تُحدث الحرب بنفس الطريقة التي لها أن تُحدث عند المستعَمر حركات ثورية " أين تهدف هذه الحركات إلى إحداث تغيرات جذرية في المجتمع في توسيع السلطة و الثروة و المكانة الاجتماعية،تتعدى أهدافا إلى تقويض أهداف المجتمع الاشتراكي أو العكس الرأس مالي " (**ابراهيم الحيدري. 2015. ص 43**).

و عليه يمكن أن نستنتج و انطلاقا من الاعتبارات النظرية السابقة ، النتيجة الثالثة للدراسة (إجابة عن الفرضية الثالثة) المتمثلة في القراءة المتخصصة السيكو باتولوجية لفعل الحرب و الوعي به من طرف الفرد **التالية :** "يُعد الفرد فاعلا سيكولوجيا في صناعة الحرب و منتجا لها" حسب مايلي :

– الحرب تأتي كنتيجة لفساد السلوك الإنساني و كمظهر لها مفسر للطبيعة البشرية الشريرة : إذ " يعود فساد السلوك الانساني إلى عاملين أساسيْن الأول هو طبيعتنا (المقاربة النزوعية)...و الثاني هو طبيعة المواقف و الظروف المحيطة بالأفرادو الجماعات" (**سيجموند فرويد–ألبرت أنشتاين.2018.ص18/17**) .و إذا كانت الحرب نتيجة تفاعل هذيْن العاملين و كمظهر لهما مفسرا لفساد السلوك الإنساني فالأسباب التالية هي من تُأسس بداخل الفرد بتركيبته النفسية الخاصة للحرب بعيدا عن الحديث عن المواقف التي تُسهم في ذلك :

- ✓ غريزة الكراهية و التدمير و العدوانية و هذه الغريزة كامنة و الحرب ما هي إلا تصريف عنيف لهذه النوازع العدوانية القاتلة عند البشر و الثابتة بين الجميع.
- ✓ القوة و الخوف من تنامي قوة الخصم في اندلا ع الحروب.
- ✓ فساد الطبيعة البشرية في مقابل متطلبات السلطة و الحفاظ على الملك.
- ✓ الدولة التي صنعها البشر كوسيلة لوضع حد لدورة الحرب الشاملة و حرب الجميع ضد الجميع أصبحت هي من أهم أسباب الحروب .
- ✓ طبيعة الانسان من غيرة و منافسة و عدوان و غضب لملك و سعي لتمهيده .
- ✓ السلام الذي هو من فضائل الانسان قد يكون رغبة دفينة في الفرد تجعل من الحرب غاية له بتعويله الكبير في القضاء على فساد الانسان بالحرب.

– الفرد هو المسؤول عن توجيه الجماعة إلى حالة الحرب :نظام الجماعة يعتبر الأرضية التي عليها يرتكز الفرد و عيش الجماعة حالة من اللانظام لا يعتبر في كل الحالات حربا بل إن الفرد هو من يكون مسئولا عن توجيهها إلى حالة الحرب حتى في حالاتها الأكثر نظامية ، حيث نرى التأثير المباشر للفرد من الناحية السيكولوجية في تحديد محتويات و مواضيع الجماعة الاجتماعية ، و إن الحركات الجمعية و اتجاهاتها من منطلق تشكيل اللاشعور الجمعي عند الفرد الواحد لا تتوظف إلا في نسق سيرورة نفسية –اجتماعية ، أي داخل جماعة الأفراد التي تستدعي عمليات نفسية و اجتماعية معقدة . أين لا يمكن ان تعزو تفسيرات الحرب كأسباب إلى النزعة العدوانية الكامنة فينا أو إلى البحث عن السلطة و ممارسة التخويف و التهديد أو بالبحث عن السلام من منطلقات الحرب الوظيفة فقط ، بل الحرب كوسيلة أيضا لتعزيز التلاحم داخل الجماعة أين ينقلنا افتراض أن للعدوانية طاقة في نفوسنا ترجح لتلاحم و لتداعي روح التكتل داخل الجماعات باعتبارها شعور اجتماعي حقيقي يفرض نفسه على الأفراد.

5.خاتمة :

إن استمرار التفاعلات بين المحددات البيولوجية و النفسية و الاجتماعية لدى الفرد يعني استمرار الصراع الذي يحدد و يرسم سمات شخصيته أولا ، و سمات النظام الاجتماعي الذي ينتمي إليه ثانيا ، و إن التفاعل هنا يرمز إلى استمرار السيرورة الاجتماعية باستمرار السيرورة النفسية في ثبات التفاعل البيولوجي ، إذ نجد أن الصراع يلعب – كتصور سوسيولوجي للحرب – دور الحفاظ على السيرورة الاجتماعية داخل المنظومة الاجتماعية أمام هيمنة و استمرار الصراع النفسي و تظاهرات نمو السيرورة النفسية في اتجاهْها التطوريْين " سلوكيا " (الداخلي– الخارجي / الشخصي– الاجتماعي) بصفته الدينامية التفاعلية " بين الأنساق الفردية و الأنساق الاجتماعية " ، فالصراع لا يعني في كل الحالات الحرب و لا يمكن أن تعني الحرب في كل الحالات الصراع . و منه يمكن تلخيص أهم نتائج هذه الورقة البحثية السابقة كالآتي :

- ✓ لا يمكن شرح ماهية الحرب وفقا للنموذج الحيوي " النفسي– الاجتماعي " (النسقي) بإهمال دور المحددات البيولوجية فقط بسبب ثباتها ، بل أن هذا الثبات أصبح له دور كبير في تحديد تطور مظاهر الحروب في الوقت الراهن من استعمارية إلى أهلية ومن نووية إلى بيولوجية .
- ✓ يعُد الفرد فاعلا اجتماعيا في صناعة الحرب و منتجا لها في الوقت ذاته ، باعتبار أن اختيار الفرد للإنتاج المادي على حساب الانتاج الاجتماعي هو من يصنع الحرب أولا ، و باعتبار أن الفرد هو مؤسس الجماعة و مالكها في الحرب و السلم من الناحية الوظيفية ثانيا ، أين تأتي مظاهر صراع الفرد المتجاذبة لتعطي الحروب وظيفة التطور الاجتماعي من جهة ، و كذا باعتبار الفرد هو المسئول عن تعقيد البنية الداخلية

للمنظومة الاجتماعية بتفعيل حركيتها الجمعية نحو الصراع " الحرب " انطلاقا من طريقة إدراكه لحدود الانتماء و لنزعته العنصرية ثالثا .

✓ يعُد الفرد فاعلا سيكولوجيا أيضا في صناعة الحرب و منتجا لها ، أين تأتي الحرب كنتيجة لفساد السلوك الإنساني و كمظهر مفسر للطبيعة البشرية الشريرة باعتباره المسؤول عن توجيه الجماعة إلى حالة الحرب .

و في الأخير تمثل أفاق هذه الدراسة تقديم وجهة نظر شمولية نفعية " براغماتية " لمفهوم الحرب ، و ليس فقط كمفهوم عسكري و أو كمفهوم سلبي يحدث من و بالفرد ، فاستمرار الشعوب في اتجاه الحروب يبرز أهمية هذه الأخيرة الوظيفية الاجتماعية في حل الصراع الاجتماعي من جهة ، ويفسر تواجد المقاربة السيكوباتولوجية الخاصة بأمراض صدمات الحروب و كيف أنها اتخذت لنفسها مكانا هاما داخل الجداول التصنيفية النفسية العيادية باعتبار أعراضها تمثل حلا للصراع النفسي الذي يعيشه الفرد المزامن للحرب أوضاعها من جهة أخرى . أين يمكن استقراء أن العوامل البيولوجية و النفسية الباثولوجية المفعلة للحروب تحمل رمزية حل الصراع الاجتماعي داخل المنظومة الاجتماعية قصد تمكين هذه الأخيرة– و من خلال هذا المفهوم الحيوي لماهية الحروب– الحفاظ على تواجدها ،وهو ما يجعلني أوصي بأهمية البحث و التقصي للانقطاع الظواهري للحروب .

6. قائمة المراجع:

1- ابراهيم الحيدري. (2015). " **سوسيولوجيا العنف و الإرهاب**" . ط1.دار الساقي. بيروت . لبنان.

2- جان لابلانش ،و ج.ب ،بونتاليس. (1984). "**معجم مصطلحات التحليل النفسي**"الترجمة د. مصطفى الحجازي . من دون طبعة. ديوان المطبوعات الجامعية . بيروت. لبنان .

3- موراد مرداسي. (2009). "**حقول علم النفس الوسيط**". ط3 . ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.

4- مروان أبو حويج . (2006). "**مدخل الى علم النفس العام**" .ط1.دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع. عمان . الأردن .

5- جان كازونوف. (1983)." **سيكولوجية أسير الحرب**" .تقديم شارل سيروس . ترجمة عدنان السبيعي و خليل شطا .ط1. دار دمشق للطباعة .سوريا.

6- نيكلاس لومان . (2010)." **مدخل إلى نظرية الأنساق** ". ترجمة يوسف فهمي حجازي.مراجعة و تدقيق رامز ملا. ط1. منشورات الجمل .كولونيا (ألمانيا)- بغداد . العراق.

7- ريتشارد.س.لازاروس، (دون سنة) ، "**الشخصية**" ، دون طبعة. بيروت. لبنان .

8- سجموند فرويد –ألبرت أنشتاين . (2008)."**لماذا الحرب ؟ المناظرة بين فرويد و أنشتاين**". تحرير و تقديم نادر كاظم .ترجمة جهاد الشبيني .ط1. منشورات تكوين تساؤلات. بيروت.لبنان.

9- سجموند فرويد. (1992). " **الحب و الحرب و الحضارة و الموت**" . ترجمة الدكتور "عبد المنعم حنفي".ط1. دار الرشاد القاهرة.مصر.

10- عبد الحميد قرفي . (2010)."**بناء المعرفة السوسيولوجية**". ط1. ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر .

11- علي صبح. (2002). **الدولي في النصف القرن 1945-1995**. ط2. دار المنهل اللبناني. بيروت.لبنان.

12- Klaus Muecke. (2009). " **العلاج و الإرشاد النفسي الأسري**". ترجمة ."د. أسامة جميل رضوان" . ط1.دار الكتاب الجامعي. غزة. فلسطين.

13- « DELAY. J et PICHOT » et « PERSE.J » ; (1966) ; « **méthodes : psychométriques en clinique** » ; 2eme tirage ; Mosson et Cie Editeurs; France .

14- زاد الطالب "عربي عربي". (من دون سنة). **المعجم المدرسي**. الطبعة الجديدة الملقحة و المزيدة. دار الراتب الجامعية. بيروت. لبنان.

15– المهدي الفاتح الحسن. (2014). أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه **النزاعات و الحروب الأهلية في إفريقيا " دراسة في أسباب الظاهرة و آثارها " السودان ، الكنغو ، روندا ، بورندى ، الصومال نموذجا** ، جامعة العلوم و التكنولوجيا –كلية الدراسات العليا ، السودان.

16– سعدي وحيدة ، ولهي حنان .(2018). مقال بعنوان " **التنظيمات ، تحليل نسقي** " . مجلة دراسات أبحاث المجل العربية في العلوم الإنسانية و الإجتماعية . المجلد 10. العدد 4 ديسمبر2018.من الصفحة 436 إلى الصفحة 451. الجزائر.